استطلاع صحفي

الأندية الأدبية في مصر

مقهى الفيشاوى

(لمندوب الرسالة الأدبي)

أتعرف الحيّ اللاتيني يا صاحبي ؟

أقصر الطرق ، وقرّب الفكر ، واقتصد في الخيال ، فلا تذهب إلى ما وراء البحار إذ تحسبه في باريس مدينة العلم والنور ، وبلد الطرافة والحسن ، ومبعث الفتنة والخروج على الوقار ...

إلى هنا يا صاحبي ! في قاهرة المعز لدين الله ، موطن المجد القديم والعز التالد والتاريخ الحافل ، حيث المسالك الضيقة والدروب الملتوية والشرفات المتشابكة والسطوح المتواصلة والبناء العتيق العتيد ، الذي أفنى جدارُه القرون وما زال تتجلى فيه روعة الفن الشرقي الخالص ، وعبقرية الذوق المصري الصحيح ...

إلى هنا يا صاحبي ! حيث الأزهر يعجّ بأبنائه من سائر الأقطار ، ومشهد الحسين يضج بقصاده من جميع الأمصار ، وخان الخليلي معرض الكهرمان والآبنوس والصدف والعاج والسجاد الفاخر يتلهف عليه السائحون ومجانين الأثرياء ؛ والغورية سوق العطر والأصباغ والألوان وكل مساحيق التجميل البلدية والأوربية تتزاحم عليها أسراب الفتيات من كل هيفاء هي منية النفس ، ومن كل شوهاء هي فداء إحسان[1] ، ومن كل عطبول رداح يفديها صاحبنا بيرم بأبيه وبروحه إذ يقول :

بأبي وروحي اللابسات خلاخلا الآكلات مدمساً وفلافلا

إلى هنا يا صاحبي ! حيث يمتزج القديم بالحديث ، ويختلط الطيب بالخبيث ، ويتلاصق الوضيع بالرفيع ، ويتساوى الأصيل بالدخيل ، فتتجلى لك القومية المصرية في تباين المظاهر واختلاف الطبقات ، وتتبين لك المفارقات في أذواقنا وسلوكنا ومدنيتنا إذ ترى عربات سوارس والكارو ما زالت تجرجر وتكركر إلى جانب مركبات الترام والأتوبيس والفيات . . .

إلى هنا يا صاحبي حيث سوق البقول والأفاويه والتوابل والأعشاب ، والبن بجميع أصنافه ، والشاي بسائر ألوانه ، واللب

الأستاذ فكري أباظه في جمع من إخوانه النواب والصحفيين يرشفون أكواب الشاي على الفيشاوي في ليلة من رمضان

المحمص ، والحمص المقلي ، والبطاطة المشوية ، والعدس القشري ، وما إلى ذلك من الأطعمة الشهية التي تخالف في عرضها وفي طعمها كل شروط الصحة على أنها عند أهلها كل قوام الصحة والعافية ، فهي لهم ملء البطن ، ومشتهى النفس ، ورغبة العين ...

إلى هنا يا أخي ! حيث درج محمد عبده وسعد زغلول وحمزة فتح الله والسيد المرصفي والسيد القاياتي وابرهيم الهلباوي ومحمد أبو شادي ومحمد السباعي وطه حسين وأستاذنا الزيات وزكي مبارك وغير أولئك ممن أعرف ومن لا أعرف من رجال مصر في السياسة ، وأعلامهم في الرياسة ، ونبهائهم في الأدب والفضل والصحافة ...

إلى هنا يا أخي ، فذلك هو الحي اللاتيني كما يسميه الظرفاء من أهل الأدب ، والنبهاء من أولاد البلد !

في هذا الحي الذي رأيت ، وعلى خطوات من مدخل خان الخليلي

(١) هذا من وضع صديقنا المرحوم إبرهيم الجزار لكل قبيحة تتزين ، أخذه من قول السيد القاياتي : فداؤك يا إحسان كل دميمة... البيت

وفي عام ١٨٨٧ يموت هذا الرجل العظيم وهو على سفر في النمسا فتتلقى مصر جثمانه وتمشي خلف نعشه الجوع الهائلة التي لم ترَ مثلها البلاد من قبله ، فهذه أول جنازة شعبية في تاريخها الحديث. هذه هي السابقة التي سترى مكبرة عظيمة يوم تضيق القاهرة بالمنتخبين من أبناء مصر يشيعون جثمان رئيس الثورة الثانية زعيم الوفد الأول ، ذلك الذي كانت حياة شريف أيضاً وجهاده القومي سابقة قومية لحياته وجهاده . . . رحم الله العظيمين وجزاهما عن وطنهما خير ما يجزى به الشهداء والمجاهدون

« تم »

الخفيف

الضيق من جهة الحسين يقع مقهى الفيشاوى العتيد، فهو فى موضع بعيد عن جلبة السابلة ، وضوضاء المركبات ، فأحر به أن يكون فى غمرة من الهدوء والسكون ، ولكن الله ابتلاه بكثرة الباعة ، وإلحاح ذوى الحاجة ، وصوت النادل الأجش يرفعه عالياً عالياً فى المناداة على المطلوب وشرح المطلوب فيكون له دوى وطنين لا يتحمله إلا الذين تعودوه

ومقهى الفيشاوى فى روائه آية من آيات الفن القديم، وصورة قوية من الذوق الشرقى الذى يغرق بطبعه فى التجميل ، ويهول فى التزين ، ويخلبه البريق واللمعان ، فيحمل الصورة فوق ما تطيق من التمويه والتوشية ، وكثرة التلافيف والتعاريج ، وأنت تستطيع أن تستجلى ذلك كله فى تلك المرايا الضخمة الفخمة التى علقت بجدران الفيشاوى وتجاه مدخله بالشارع ...

ويهدف إلى الفيشاوى كل أدباء مصر بلا استثناء ، فى فترات قد تبعد وقد تقصر ، ويدمن الجلوس فيه طبقة خاصة من مفاليك الأدب ، وصعاليك الصحافة ، وصرعى الآمال فى المشاريع الحرة ، والذين عاكستهم الأقدار فى نيل الشهادات والفوز بوظائف الحكومة ، ومن شطت بهم الدار من الأقطار الشقيقة فى طلب الرزق أو طلب المجد ، يتلفف هؤلاء حول موائد « الشاى المفتخر » كل مع من يشاكله ويأنس إليه ، فيغرقون فى الحديث عن أنفسهم ، أو يتلهون بالنرد ولعب الورق على تدخين النارجيلة ورشف أكواب الخمر الحلال : أكواب الشاى الأخضر والأحمر والأسود والأبيض الذى يتيه الفيشاوى بصنعه على كل مقاهى القاهرة ، وكأنى بأدباء الفيشاوى يجدون فى هذه الأكواب لذة وغناء عن أكواب بنت الحان ...

وكثيراً ما يتطلق أدباء الفيشاوى على طبيعتهم ، فيتشاجرون بالنادرة ، ويتضاربون بالنكتة ، ويغرقون فى المرح إلى أبعد حد ، ويرسلون الضحكات عالية قوية كلها سخرية بالحياة ، واستهانة بقسوة الدهر ، واستخفاف بعبث الأيام ومطالب العيش ، فهم يضحكون عن فلسفة ونظر ، وكأنهم يقولون : ولماذا يا أخى لا نضحك ، وقد تحملنا من الرهق فوق الطاقة ، ولقينا من الأقدار ما تنوء به عزائم الرجال ؟ فيالها من دنيا لا تستحق إلا الهوان ...

وأدباء الفيشاوى يتباينون فى ثقافتهم ، ويختلفون فى عقليتهم وإن كانوا جميعاً فى نظرتهم إلى الحياة سواء ، فتجد فيهم الشيخ الأزهرى الذى يزنى ويزبد بالقافات كما يقول حافظ ، وفيهم الأديب الظريف الذى يملأ جعبته بنوادر السابقين واللاحقين ، وفيهم الصحافى الذى يضيق رأسه بأخبار الملاهى والمسارح ونجوم السينما والمسرح فى هوليود وعماد الدين ، وفيهم من يضج لسانه بالعجمة ويرتضخ بالعامية وكل ما عنده جملة طيبة من أسماء الأدباء فى الشرق والغرب ، وهو يحسب أنه رأس المفكرين ، ولله فى خلقه شئون .

ويجرى ذكر الأدب والأدباء فى حلقات الفيشاوى ، فيذكر من الكتاب العقاد والمازنى وطه وهيكل والزيات وأحمد أمين وزكى مبارك وكل كاتب فى مصر ، ويذكر شوقى وحافظ ومطران وشكرى والزين والهراوى والأسمر وكل شاعر حى أو غير ، ويذكر حافظ عوض وعبد القادر حمزة وأنطون الجميل وصاحب الهلال وإخوانهم فى الصحافة ، ويذكر يوسف وهبى ، وجورج أبيض وسليمان نجيب ، وعزيز عيد ، وفاطمة رشدى ، وزينب صدقى ، وأمينة رزق ، ومن لا أعرف من أهل المسرح ، ولكن كل هؤلاء لا يفوزون من أدباء الفيشاوى إلا بابتسامة ؛ ولست أدرى أهى ابتسامة الرضى والإعجاب أو الهزء والاستخفاف. وعلى كل حال فهم يرون أنه لولا معاكسة الأقدار ، وقسوة الحظ لكان أقل شخص فى الفيشاوى أكبر من أى شخص من هؤلاء فى النثر أو فى الشعر أو فى الصحافة أو فى التمثيل ، كل فيما يحاوله ويرغب فيه ، وجبراً لخاطر إخواننا فى الفيشاوى نلعن ذلك الشىء المدعو بالحظ ، قاتل النبوغ ، وقابر العبقريات ...

وللفيشاوى « موسم » يتم له فيه المجد ، ويبلغ الغاية من الجلال والكمال ، وذلك فى رمضان إذ تنشد النفوس الإنابة وحسن الثواب وتطلب السهرات البريئة الطيبة فتستبدل أكواب الشاى بأكواب المتقة ، ومن ثم تجد فى حلقات الفيشاوى رجال السياسة والأدب والصحافة فى مصر ، فتجد لطفى السيد باشا ، وهيكل باشا ، وحفنى محمود ، وعبد الرحيم محمود ، ونيازى باشا ، والصحافى العجوز ، وفكرى أباظه ، ولطفى جمعة ؛ وكثيراً من النواب وأساتذة الجامعة وشيوخ الأزهر ، كل منهم فى حلقة حافلة ، يشدون أطراف الحديث طلباً للسمر ، واستعانة على السهر ، حتى السحور

ثم يأتى العيد ، فينفض السامر الحافل ، ويعود الوضع إلى مستواه ، ولا يبقى للفيشاوى إلا الذين يكفون عليه من أمثال الشاعر ابراهيم الدباغ والأستاذ عبد العزيز الأسلامبولى صاحب المعرفة ، والشيخ سلطان الجهنى المحرر بالوفد ، والشيخ على عامر المحرر بالدستور ، وصديقنا الشيخ البهى المحرر بالمقطم ، والشاعر